ABSTRACT

Criticism in general is an activity which may consist of theorizing, judging or appreciating. In the history of criticism, it is said that there are no absolute beginnings. However in this context early Greece literature is distinguished by Aristotle's magnificent contribution towards criticism by his two treaties i.e. Rhetoric and Poetics. Criticism entered a new phase with Plato with reference to his dialogues followed by Aristotle. The series of criticism in comprising the rules and regulations persisting to forms of poems such as epic, comedy and tragic etc are the significant early developments in Greek literature. The affect of those developments can be perceived in the modern western literature up till now.

Ancient pre-Islamic period witnessed an interesting mode of criticism in poetry. The history of Arabs reveals that several markets were held every year at certain spots where in addition to trade competitions of poets were held and a large number of peoples were to attend the same. This congregation was called "سوق" i.e. Bazar. UKAZ is one of the most famous Sooq where poets of high ranks used to compete and acquire fame.

A great pavilion of leather was set up for making al-Zubyani as Judge/critic. He used to preside over the poetic competition. His remarks regarding the poetry of various poets are considered to be the early literary criticism in pre-Islamic poets.

In this context I have tried to give a brief account about criticism in Greece and Arab and I have tried to draw comparison and contrast between criticism in Greece and Arab.

The poetry of Arab is realistic and composed of the long poems, namely, the Qasida (Ode), but in Greece the lyric poetry occupies the prominent place. In this context pre-Islamic poetry represents some patent and popular themes only. They are: Fakhar (Glorification of self), Hamasa (Bravery) Ghazal (Feminine love), Madh (Praise) Ritha (Elegy) and Hija (Censure or Satire) and Wasf (Description) and in Greece tragic poetry, dithyrambic poetry, and comedy poetry and epic poetry are of magnificant form.

The Greek criticism relies upon thoughts but pre-Islamic criticism mostly tends to words and meanings.

In Greece academies and schools contributed to criticism but in pre-Islamic period markets "أسواق" played an important role.

"أساليب النقد البدائي في العهد اليوناني والعهدالعربي الجاهلي"

أ.د. محمد شريف السيالوي☆

آنسة طيبة صادق☆☆

النقد (Criticism)في مفهومه الدقيق هو "الحكم" (Judgement)،نقد، ينقد، نقداً وتنقاداً To criticise،ضد النسيئة ويعنى به الفرق بين الأعلى و الأدنى أو بين الجيد والرديء۔

To scrutinise, examine closely, inspect with critical attention.

وربما يطلق على أخذ الطير الحبوب بمنقاره حبة حبة واختلاس النظر وتمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، ونقد الكلام: هو إظهار مافيه من الحسن والقبيح، ضرب جوزةٍ بإصبع لعباً، ولدغ الحية. (١)

النقد التمييز، مأخوذ من نقد الدراهم وهو فحصها لبيان زائفها من جيدها. ووظيفته تحليل الأعمال الفنية والأدبية والحكم عليها، ويحاول الناقد تفسير هذه الأعمال وتقويمها، و البحث في المبادئ التي يمكن من خلالها فهمها، بالإضافة إلى سعيه لتحقيق مستويات عالية بين الفنانين من أجل تشجيع تذوق الفن. ويؤدى النقد دوراً مهما في جميع أشكال الفن.(٢)

النقد في المصطلح:

هو تقدير القطعة الفنية ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء كانت القطعة أدباً أو تصويراً أو حفراً أو موسيقى.(٣)

النقد في العربية تمييز جيد للعملة الفضية أو الذهبية من زائفها، مما يستلزم الخبرة والفكر ثم الحكم وهو المعنى الأقرب من الأصل الاشتقاقي المرادف في اللغات الأوروبية لكلمةcriticismوهي مأخوذة من أصلها اليوناني ,Krinein ،ومعناها في الأصل الحكم أو التفكير.(٤)

النقد في اليونان:

كل أدب من الآداب العالمية يتضمن فن النقد الأدبي ولكن الأدب اليوناني قدسبق في هذا الفن سائر الآداب. كان لليونانيين دور بارز في تطوير فكر نقدى ما يزال مؤثراً حتى اليوم بفضل تفاعل المفكرين والنقاد العرب المسلمين معه قبل قرون وانتقال ذلك من ثم إلى الحضارة الأوروبية المعاصرة. (٥)

☆ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بهاء الدين زكريا في ملتان

☆☆ آنسة طيبة صادق باحثة الدكتوراه

قدماء اليونان هم الذين سبقوا إلى وضع أصول النقد وقواعده، فقد ظهرت عندهم صوره المتعددة قديماً، وترقت برقى شعرهم ونثرهم وما وصلوا إليه من حضارة وترف عقلى وعمق فى التفكير، هذا العمق الذى جعلهم ينتجون الفلسفة كما جعلهم ينتجون بحوثا مختلفة فى الاجتماع والسياسة والأخلاق. وقد بدأ النقد عندهم بدءً اساذجاً، ثم أخذ يتعقد شيئاً فشيئًا حتى أخذ شكله النهائى عندأرسطو. (٦)

فإن النقد قدكانت له علاقة بالشعرخاصة لفظاً و معنىً ووزناً وإنشاءً اوكانت بين الشعراء مسابقةً ومنافسة حيث كانت تعقبها الملاحظات النقدية قائمة على الذوق الساذج دون أن تكون هناك أصول نقدية مقررة.(٧)

قبل أفلاطون (Plato)وأرسطو(Aristotle)كانت هذه محاولات متفرقة غير منهجية وقديماً هذه المسابقات كانت تنظمها حكومة أثينا فى أعيادها الدينية. وكانت تمنح الجوائز للفائزين على أساس الاقتراع. وأن الجماهير كانت تؤثر فى المحكمين بصيحا تهم وضوضائهم وكذلك الرشوة كانت تقدم أحياناً إلى هؤلاء المحكمين. وهذه الظاهرة لها قيمة كبيرة فى تاريخ النقد الأدبى. (٨)

النقد اليونانى فهو يمثل أقدم صور النقد الأدبى قاطبة، حيث تعكس الأشعار اليونانية أول المحاولات النقدية للا رتقاء بمستوى الإبداع الشعرى، ففى عصر البطولة والأساطيراهتم الشعراء بتجويد ألفاظ وأوزان أنا شيدهم وملاحمهم.(٩)

وقد نهض هو ميروس (homer)فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد بنظم ملحمتيه: الإلياذة (Iliad)والأوديسا(Odyssey)فى أسلوب مرن ولغة مصقولة بلغ بهما حد الكمال. فأظهر ماوصل إليه النص الأدبى من تجويد فى اللغة وإتقان فى النظم. (١٠)

وهما بدون شك ثمرة تهذيبات وتحسينات كثيرة انتهى بها هو ميروس إلى هذا الإتقان البارع لفنه. غير أن هذا الضرب من النقد ضرب إنشائى يتضمنه إنشاء الشعر، وليس من النقد بالمعنى الدقيق لكلمة نقد، والنقد الذى يقوم ويقدر ماللنص الأدبى من قيمة فنية، فيزرى ويهجن أو يقبل ويستحسن. (١١)

ويعد رواة الشعر اليونانى أصحاب الخطوة الأولى في النقد لما لهم من جهود حيث كانوا يروون الناس أشعار هو ميروس و أشعار هيسيود(Hesiod) فقد كانوا يهذبون ماينشدوه من أشعار كى تتناسب مع ذوق المستمعين، كأن يستبدل المنشدبعض الألفاظ أو يضيف بعض المقطوعات الشعرية التى تعجب المستمع، أو يرصع ماينشد ببعض الصور البيانية التى تضفى على الأسلوب رونقاً خاصاً. (١٢)

وفي القرن السادس قبل الميلاد دونت الأشعار اليونانية وهذالتدوين ساعد على درسها وتمحيصها. وأصبح خطوة ثانية في النقد.(١٣)

وقد انتقل الشعر اليوناني في أواخر القرن السادس قبل الميلاد نقلة أخرى حيث ظهرفيه الشعر التمثيلي (١٤) الذي استدعى وجودمسرح وجمهور، وقدكان الجمهور آنذاك على درجة من الوعي والذوق الأدبي، حيث احتل مكان الناقد في المسابقات الأدبية وعنه كان يصدر الحكم للشاعر الذي يستحق الجائزة. ويأخذ شعراؤه المشهورون في الظهور. ونشأهذا الفن في أعيادهم الدينية وبدأ يتطور كماكانت تعد هذه المسابقات صورة من صور النقد، فقد كان الشعراء الممثلون يتقدمون بمسرحيا تهم ويختار منهم ثلاثة لتمثيل روائعهم أمام الجمهور، فإذا وقع الشاعر من الجمهور موقعاً حسناً صفق له وأتى من الحركات مايدل على استحسانه، وإذا وقع منه موقعاً سيئاً صفرله وأتى من الحركات مايدل على إزدرائه. وكان هناك محكمون يحكمون بين الشعراء الثلاثة فمن حكموا له بالسبق فهو صاحب الجائزة الأولى ويليه الثاني صاحب الجائزة الثانية، أما الثالث فمغلوب على أمره ولاحظ له في جائزة أومكافأة.

وقد هيأ ذلك الوعي لرقي فن التمثيل وتطور المسرحية، فبعد أن كانت مقصورة على وصف الآلهة و أنصاف الآلهة من الأبطال، أصبحت تتناول حياة اليونانيين بما فيها من أحداث سياسية واجتماعية و فلسفية وأدبية، وتتعرض لهم بالنقد والتهكم. (١٥).

وأصدق مثل على ذلك ملهاة "السحب" (The clouds)التي نظمها أريستوفان (aristophanes)في القرن الخامس قبل الميلاد، والتي أثارت الخصومة بين الشعراء والفلاسفة بما فيها من سخرية لاذعة وتعريض بالمقلدين أنصار القديم. وهي تصورنوعاً من الصراع بين الشعراء والفلاسفة، فقد حمل فيها عليهم ومثل سقراط منكراً للآلهة ينصر الباطل على الحق. (١٦)

أما ملهاة "الضفادع" (The Froges) التي نظمها أريستوفان عام ٤٠٥ قبل الميلاد والتي فازت بجائزة المسرح الأولى آنذاك، فقد كانت أكثر التصاقا بموضوعات النقد الأدبي، وفيها عالج أريستوفان بمهارة بعض المشاكل الشعرية، من ذلك مشكلة القديم والجديد. وبذلك أثار أريستوفان في النقد اليوناني مسألة القديم والجديد.(١٧)

كان هناك إذن منزعان في الشعر: منزع المحافظين الذين يعنون بالتراث القديم في الموضوع والأسلوب ومنزع المجددين الذين يحاولون أن يجددوا في كل شئ حتى يتفقوا مع ذوق العصر وحتى

يهيئوا للشعر تطورًا في موضوعاته وأساليبه. وكأن اليونان لم يتركوا للمحدثين شيئًا وهناك مذهبان في النقد الحديث: مذهباً يحافظ على الأصول الموروثة ومذهباً ينزع إلى التجديد. وتطور النقد عند أريستوفان ورقيه، فلم يعد مقصوراً على شئ من الإصلاح والتهذيب يتناول الشعر في أثناء روايته أو تدوينه، بل أصبح يثير مشاكل الشعر الأساسية ويجيب عليها، فهو يبحث في موضوعاته وأساليبه وأغراضه. (١٨)

وقد واكب نشأة هذين اللونين من النقد.نقد الرواية ونقد الشعراء. وهناك لون ثالث هو النقد الذى بدأ بمحاولة الفلاسفة تفسيراً للشعروالبحث عن قيمته الفنية وما يتضمنه من أفكار وعقائد و المعروف عن الفلاسفة اليونانية ثورتهم على الشعراء الذين يبنون أشعار هم على الأساطير المتصلة بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين،وكان يتناولون اللفظ والمعنى والموضوع ذلك نجدهم يتناولون الإلياذة والأوديسا وأشعار هيسيود بالدرس والشرح والتعليق، ويتهمون هو ميروس وهيسيود بإشاعة الضلال والبهتان وإفساد المعتقدات الدينية. (١٩)

وقد لحظوه في الوزن فدرسوا أنواعه وعلاقة كل نوع بمايلا ئمه من معنى وموضوع، ولحظوه في اللغة كذلك لامتياز لغة الشعروالشعراء بالطرافة والرشاقة، و دونوا هذه الملاحظات، وفي أثناء هذه الدراسة اللغوية مفردة ومركبة نشأعلم النحو لأول مرة في تاريخ الحياة الانسانية، وباتساع البحث في الجمل والعبارات نشأعلم المعاني، ثم قد صخب ذلك نهوض سياسي في نواحي الأقاليم اليونانية دعا إلى كثرة الخصومات والتقاضي، فكان لابدمن الدفاع والمناظرة وهنا ترقت الخطابة ووجدالنثر لفائدته الاجتماعية ولخواصه الفنية.(٢٠)

وفي النصف الثاني من القرن الخامس ق.م ترقى شخصية العقل الفلسفي عند اليونان. فكثرت الآراء و الجدل في كل شئ، وظهرت جماعة السوفسطائيين كانوايعلمون الشباب طرق الفصاحة والغلبة على خصومهم بالحق وبالباطل. وأثاروا مسائل كثيرة حول الإقناع الخطابي وصفات الأسلوب الجيدو والألفاظ وسحرها وجمالها، فهيئوابذلك لقواعد نقدية كثيرة. (٢١).

وظهرسقراط آخرالقرن الخامس، إنه لم يترك شيئًا يشبه أن يكون نظرية في النقد، والحكم عليه دائماً يعتوره شئ من النقص، لأنه لم يخلف آثاراً مكتوبة في النقد، إنما حكى تعاليمه أفلاطون تلميذه فيما كتبه من محاوراته الكثيرة حيث يعرضه علينا ويعرض أفكاره في حواره مع خصومه من الفلاسفة والسوفسطائيين والشعراء.(٢٢)

إن سقراط (Socrates)من أوائل الفلاسفة الذين تعرضوا للشعراء، وقد رأينا فيمارواه عند تلميذه

أفلاطون حكمه على الشعراء بقصور المعرفة، والبعدعن الحكمة، و الجهل بطبيعة الفن وهم فيما نسب له: لايؤلفون قصائدهم الجميلة بالفن ولكن يؤلفونها لأنهم ملهمون مجذوبون، وهم لايملكون وعيهم وهم ينشئون أغا نيهم الجميلة، والشاعر لايقدر على الابتكار حتى يوحى إليه ويغيب عن وعيه ولايبقى فيه رشد فإذالم يبلغ هذه الحالة، فهو بغير حول وهو عاجز عن التفوه بنبوء اته.(٢٣)

فقد كان للفيلسوف اليونانى أفلاطون دوراً بارزاً فى تطوير النقد الأدبى من خلال نظريته فى المحاكاة التى حملها كتابه الجمهورية والتى بمقتضاها رأى أن الشعراء ذووتأثير سلبي على النظام السياسى والاجتماعى الذى دعا إليه فى كتابه فاضطرإلى استبعادهم من ذلك النظام. (٢٤)

رغم أنه لم يترك فى الشعر كتاباً خاصا بل إنما وجدت له أراء منثورة فى كتاباته، وخاصة فى محاوراته المعروفة (إيون Ionأوعن الإلياذه) وما كتبه فى الجمهورية عن هو ميروس وعن الشعراء والشعر عامة. (٢٥)

كتب أفلاطون محاوراته التى عنوا نها (ايون Ion) فى عشر السنين الأولى من القرن الرابع قبل الميلاد: وهى محاورة على شكل درامى تشبه المحاورة فى مسرحية "الضفادع" لأرستوفانيس، وتدور هذه المحاورة بين سقراط والمنشد (ايون). وفيها يتناول أفلاطون مسألتين هامتين من صميم النقد الأدبى، أولاهما: مامصدر الشعر لدى الشاعر: الفن أم الإلهام؟

وثانيتهما: ماالفرق بين حكم الشاعر والناقد الأدبى على الشيء من جهة وبين حكم العقل والعلم على نفس الشيء؟(٢٦)

وقدطور أرسطو النقد طوراً ملموساً. ويعد كتابه "فن الشعر" منذالقديم أكثر تأثيراً فى النقد الأدبى، وما زال حتى الآن ذا أهمية كبيرة. (٢٧) وهذا الكتاب الذى يعد بحق المرجع الأول لكل الدراسات البلاغية و النقدية فى كل المعاهد الراقية.(٢٨) والنقد الذى إن كان ساذجاً بسيطاً، بلغ درجة النضج والعمق على يدأرسطو وهو الذى وضع علم النقد وقواعده. (٢٩)

هوأول كتاب فى النقد وصل الينا، ولم يصل إلينا كاملاً، واغلب الظن انه مذكرات موجزة تنظم مادة محاضراته على تلاميذه ولاتشتمل على التفصيلات التى كان يسردها عليهم، وهذا لايقدم للقارئ نظرية (أرسطو طاليس) فى الفن كاملة ولا فلسفة كاملة للجمال أوالفن. ويتضمن على ردود مقنعة على تهم استاذه (أفلاطون) ومنا قشة تتصل بالفنون والجمال والاجادة الفنية.(٣٠)

وقدعد أرسطو "أوديب ملكا" لسوفو كليس نموذجاً لكثير مما تعرض له فى كتابه النقدى "فن

الشعر" واقتدى به.(٣١)

يستعرض أرسطو في كتابه مبادئ التكوين الفني ومع أن هذا الكتاب يهتم بكثير من أشكال الإبداع الفني بما في ذلك الملهاة والملحمة والحواروحتى الموسيقى والرقص إلا انه يركز بشكل خاص على عناصر المأساة، إن كتاب (فن الشعر) يعود تاريخه إلى ماقبل ٣٢٣قبل الميلاد.

ويقول كوبر إن من المحتمل أن يكون كتابه نسخة من محاضراته التي ألقاها في النقد ألادبي. وفي القرن الخامس عشر توفرت النسخ لكتاب (فن الشعر) باللغة الإغريقية في ايطاليا، وأصبح العلماء يسافرون إلى هناك لدراسة الكتاب. وشيئًا فشيأ أصبح الكتاب قوة مؤثرة في نقد الشعروالدراما والأدب. وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية والعربية في العصور الوسطى مما وسع تأثير أفكار أرسطو.

ويخصص معظم كتابه للمأساة، ومن القضايا المهمة لكتاب فن الشعر هي معنى المحاكاة. وعلى أي حال فان كتاب (فن الشعر) كان له اثر بالغ الأهمية كأساس لتطور النقد الأدبي الغربي. ويقول لين كوبر هو أحد الكتب التي أنتجها العقل البشري تنويراً وتأثيراً.(٣٢)

ويعتبر كتاب فن الشعر أهم كتاب في مجال الشعرية. ويظل من بين الكتب المهمة في دراسة النص الشعري في جميع الأزمان، فقد استفاد النقد العربي القديم والغربي. لكن يبقى الكتاب ناقصا مادام أن ماوصلنا منه هو الجزء الأول، لتبقى أهمية الجزء المفقود بالغة. (٣٣)

والنقد اليوناني يشتمل على:

الارهاصات النقدية. وعند أفلاطون وأرسطو مع التركيز على فكرة المحاكاة وبناء الأسلوب، والبناء الدرامي للمأساة. (٣٤)

أن الشعر اليوناني كان فيه شعر غنائي، بل كان أفلاطون يفضل الشعر الغنائي، لأنه يشيدمباشرة بأمجاد الأبطال، ويلي ذلك شعر الملاحم ثم المآسي ثم الملهاة. وقسم أرسطو الشعر إلى ثلاثة أقسام:

١. شعر الملاحم. ٢. شعر المأساة والملهاة.

٣. الشعر الغنائي.

جعل أفلاطون شعرالمآسي في المرتبة الثانية عنده. وفضل الشعر الغنائي، لأنه يشيد مباشرة بأمجاد الأبطال. بعيداً عن العزف على أوتار العواطف.

وبالنسبة لشعر الملاحم فهو يأتي ثانياً عند أفلاطون لأن النقائص فيه لاتؤ ثرفي مصير الأبطال. (٣٥)

هـذا مـاتيسـر لـنـا من عرض الملامح النقدية فى الشعر للعهداليونانى الأول. والآن نتناول موضوع النقد فى العصر الجاهلى تيسيراً للمقارنة وخصائص لكل منهما.

مـن الـمعلوم أن أدب كل أمة هو ابن بيئتها الطبيعية و الاجتماعية. فالأدب الجاهلى وليد الصحراء فكان نظام معيشتهم وأساليب حياتهم مستمدين منها عقليتهم وعواطفهم و اخلاقهم. (٣٦)

بـدأ الـنـقـد العربي منذ العصر الجاهلى نقداً تأثرياً مبنياً على الذوق الفطرى لا الفكر التحليلى. إذا استسـاغ الناقد بذوقه الفطرى قصيدة أو جزءً ا من قصيدة أوبيتاً أوحتى نصف بيت فما أسرع مايتأثروينـد فع إلى التعميم فى الحكم، وإذا الشاعر فى نظر الناقد المتذوق أشعر الناس أو أشعر العرب. (٣٧)

وكـان الـنـقـد يتـنـاول الـلفظ والمعنى الجزئى المفرد، ويعتمد على الانفعال والتأثر دون أن تكون هـنـاك قـواعد مدونة يرجع إليها النقاد فى شرح أو تعليل، وينتهى إلى بيان قيمة الشعرو ومكانة الشاعر بين أصحابه. (٣٧)

فـى الـعصر الجاهلى كان النقد الأدبى يساير عملية الخلق الفنى حيث يقوم الشعراء بتجويد قصائد هـم ويبـعـدون مـنـهـا مـالا يتـفق ذوقهم الذاتى وقديطيلون النظر فيها فيستغرق حولاً كاملاً كما فعل زهير فى بـعض قصائده التى سميت بالحوليات ثم تحول النقد إلى أعمال الأخرين وعرف بالا ختصار وبانه كان يقوم عـلـى الانـطباع الذاتى اكثر من قيامه على مقاييس ثابتة منظمة وبان النقاد كانوا شعراء اشتهروا بوفرة حظهم فى فهم الشعرو تذوقه وتقديره. (٣٩)

وتـحـرك الـنـقـد الجاهلى فى ميدانين: ميدان الحكم على الشعرو ميدان المفاضلة بين الشعراء. وفـى كـلاالـمـيـدانيـن كـانـت الأحـكـام التـى تـصـدر عـن الـنـقـاد أحـكـاماً غير معللة قوامها التأثر والذوق الفطري.(٤٠)

وتـأ كيداً على هذا القول نجد عرب الجاهلية أنهم اختاروا المعلقات واعتبروها من أجود ما انتجته قـرائـحهـم.....وعبـر هـذا الـحكم انتشرت تلك المعلقات وبسطت اللغة على جملة القبائل العربية واعتبـر تها معياراً من ناحية الألفاظ والأساليب، مما شجع بعض القبائل لتعرض أشعارها على قريش لتقويمها والحكم عليها. (٤١)

وكـان يـعتد للنقد الأدبى فى الجاهلية أماكن معينة مثل مجلس التحكيم فى سوق عكاظ الذى كان شـعـراء الـعربية يعرضـون فيه قصائد هم (٤٢) ووجدت الأسواق التى يلتقى فيها الناس فى مواقيت معينة من كـل عـام، ليـقضوا حوائجهم من تبادل الأسرى والتجارة والزواج وتبادل الخطب، و القاء الشعر الذى يعدد

مناقب القبيلة أو يعير خصومها. وكان الشعر أظهر فنون القول عندالعرب وأشهرها و أسيرها ذكراً.(٤٣)

وكانت تعقد أسواق العرب والشعراء كانوا يجتمعون فى الأسواق وأبواب الملوك والرؤساء.(٤٤)

وفى أواخر العصر الجاهلى كثرت أسواق العرب التى يجتمع فيها الناس من قبائل عدة، وكثرت المجالس الأدبية التى يتذاكرون فيها الشعر، وكثر تلاقى الشعراء بأفنية الملوك فى الحيرة وغسان فجعل بعضهم ينقد بعضاً، وهذه الأحاديث، والأحكام، والمآخذ هى نواة النقد العربى الأول، نواة النقد التى عرفت، والتى قيلت فى شعر معروف. وكانت عكاظ سوقاً تجارية ومجمعاً لقبائل العرب يفدون عليها للصلح أو التعاهد، أو التفاخر، وكانت موعداً للخطباء والدعاة، وكانت فوق ذلك كله بيئة من بيئات النقد الأدبى، يلتقى الشعراء فيها كل عام، وفى كتب الأدب أن النابغة الذبيانى كانت تضرب له فيها قبة حمراء من جلد، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. من ذلك مانجده فى عكاظ عند النابغة الذبيانى، وفى يثرب حين دخلها النابغة فأسمعوه غناء ماكان فى شعره من إقواء، وفى مكة حين أثنت قريش على علقمة الفحل، ومن ذلك مايعزى إلى طرفة من أنه عاب على المتلمس نعته البعير بنعوت النياق، وما أخذه الناس على المهلهل بن ربيعة من أنه كان يبالغ فى القول ويتكثر.(٤٥)

وهذه الشواهد تدل على وجود صور من صور النقد الأدبى فى العصر الجاهلى، على أن هناك مالعله أعمق فى تلك الشواهد، وأبلغ فى الدلالة على وجود هذا النقد، وإن الشعر فى أواخر العصر الجاهلى كاديكون فنا يدرس و يتلقى، وتوجد فيه مذاهب أدبية مختلفة. فمن الشعراء الجاهليين من كان له أساتذة ومرشدون يأخذ عنهم رسوم الشعر، ويتعلم بعض أصوله، وفى هذا التلقي شيئ من الهداية والتوجيه إلى المثل الأعلى.

وظاهر أن هذا النقد الناشئ الذى ينقد أدبا حديث العهد بالحياة كان يتجه إلى الصياغة والمعانى، و يعرض لها من ناحية الصحة، ومن ناحية الصقل و الانسجام، كما توحي به السليقة العربية.(٤٦)

ومن الأمثلة التى وصلت إلينا والتى تبين أسلوب ونهج النقد الأدبى تجاه القصيدة قصة تاريخية حدثت حين تقدم حسان بن ثابت والخنساء إلى مجلس النابغة الذبيانى حيث أنشد حسان بين يدى النابغة قوله فى ميمية له:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجده دما

فقال له النابغة: واللّٰه إنک لشاعر لکن:

١. لوأنک قلت جفان بدل جفنات لکان أبلغ حيث أن "جفان" جمع کثرةوجفنات جمع قلة.

٢. لوقلت يبرقن بالدجى لکان أحسن من يلمعن بالضحى لأن الضيوف يکثرون بالليل.

٣. لوقلت يجرين بدلا من يقطرن لدلت على غزارة اهرياق الدم.

٤. حبذالوفخرت بمن ولدت ولم تفخربمن أنجبک.

وهذا النص يرينا أن النابغة ، لم يکتف من الشاعر باختيار ألفاظه التى تؤدى إلى المعنى المقصود فقط بل إنما يطلب منه أن يخضع معناه للعرف والتقاليد المعروفة، فيفخر بمن أنجبه لابمن ولده. فأناب حسان من المجلس صامتا وهذا تصوير لأساليب النقد فى الجاهلية.(٤٧)

وهذا النابغة الذبيانى، فى سوق عکاظ يحکم للأعشى ميمون بن قيس، ثم يحکم لحسان بأنه شاعر، ثم يحکم للخنساء بقوله لها: ((واللّٰه لولا أن سبقک أبو بصير، لقلت إنک أشعر الجن والإنس)).

وهذا هرم بن سنان الفزارى، له مجلس خاص، ينظرفيه إلى المتحاکمين إليه من الشعراء. ومن أشهر المحاکمات التى أجراها فى مجلسه، محاکمة الشاعر علقمة ابن علاثة، ابن عوف بن الأحوص، بن جعفر بن کلاب، والشاعر عامر بن الطفيل، بن مالک بن جعفر بن کلاب.(٤٨)

صور من النقد الجاهَلى:

١. حکومة أم جندب.

٢. المسيب بن علس وقصة استنوق الجمل.

٣. الاقواء فى شعر النابغة.

٤. من حکومات النابغة فى سوق عکاظ.

وخلاصة النقد فى العصر الجاهلى أنه کان نقد بسيط کان نقد أبيات معينة وليست القصيدة باکملها ويکون فى الأولية نقد الشاعر لنفسه ووضع قصيدته عنده حولاً يعيد قراء تها وترتيبها. کما أنه نقدلا يستند إلى معايير فنية بل يستند للعرف أحياناً وللذوق الخاص أحياناً وللغريزة أحياناً. (٤٩)

وشهد النقد الأدبى مرحلة نقدية متطورة وهى المرحلة التى اتخذت من الصورة الفنية معياراً نقدياً، المعيار الذى اعتمد عليه عدد من النقاد الجاهليين فى يثرب ومکة وعکاظ وذى مجنة وعدن والحيرة....جاء فى طليعتهم النابغة الذبيانى وأم جندب. (٥٠)

النقدأمر فطرى فى الإنسان. فالإنسان يميز بفطرته بين الخير والشر، وبين القبح والجمال، وبين اللذة والألم، وينفرمن الكلمة الخشنة الجافة. ففريق من الباحثين يرى أن مرحلة العصر الجاهلى هى المرحلة التى تطور عنها النقد إلى أن العرب عرفوا النقد انطلاقاً من التلازم المفترض بين الشعروالنقد.

ويقول الأستاذ طه أحمد إبراهيم:

النقد الأدبى يظهر فى الشعر وظلت أكثر بحوثه فى الشعر. ثم هو "عربى النشأة كالشعر لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يقم إلاعلى الذوق العربى السليم.(٥١)

إذكان النقد الجاهلى فى أول مرة ساذجاً سذاجة البيئة الطبيعية والاجتماعية، فكان النقاد يطلقون أحكاماً متنوعة على الشعر فى أيامهم، تتناول الشاعر والقصيدة جملة، وقديكون هذا الحكم مبنياً عندهم على إعجابهم ببيت من أبيات القصيدة أو بجزء من البيت، وقد يرجع هذا الحكم إلى إعجابهم بالشاعر نفسه وبشخصيته.

لقد صدرت الأحكام النقدية الجاهلية متسمة بالذوق الفطرى الذى يعتمد على إحساس الناقد المباشر بالمعنى أو الفكرة، فهو يتلقاها ويحسها بذوقه الفج، وفطرته الساذجة، ولهذا صدرت أحكامه مرتجلة نتيجة لهذا التذوق المباشر.(٥٢)

لم تظهر مشكلة اللفظ والمعنى، أو قضية الشكل و المضمون فى العصر الجاهلى ولافى صدر الإسلام الأول. وخذمثالاً لذلك فى الجاهلية، النابغة الذبيانى يحكم فى الجاهلية بأن الخنساء.مثلا. أشعر من أنشده، من غيربيان لسبب من لفظ أومعنى، ولا صحة للتفصيلات النقدية العلمية التى وردت فى الرواية المنسوبة إليه فى نقد بيت حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام:

لنا الجفنات الغرلمعن فى الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجده دما

ذلك لأنه عصر لايزال يفهم الأدب فيه على أنه كل، ولم تفهم النظرية التفصيلية الجزئية أو التحليلة الدقيقة إلا فى العصور التالية، فهل من الممكن فى ذلك العصر الجاهلى تصور هذا التفريق الدقيق بين المفردات الآتية على الأسس العلمية الثابتة: جفنات وجفان، أو يلمعن ويبرقن، أوالضحى والدجى؟

وأغلب أحكام النقد الأدبى فى العصر الجاهلى، وفى عصر صدر الإسلام كانت أحكاماً غير معللة، والناقد فى ذلك الزمان لم يكن مطالباً بأن يؤيد حكمه النقدى بالأسباب والحيثيات والعلل، بل حسبه أن يكون مشهوداً له بالذوق، والبصر فى الشعر وفنونه.

وكان الشعر الجاهلي يلتزم في المعنى الشرف والصحة، والقصد والاعتدال، والوضوح وقرب المأخذ، ولزوم الواقع، وحسن التأتي والبعد عن التجريد، حتى إذا عرض على العقل السليم قبله ووافق عليه عن الرضى، ولم يره مخالفا لما وقرفي الطباع.

فالألفاظ عند الجاهليين فخمة جزلة ذات رنين قوي، و صلابة ومتانة ورصانة، وهو تأثير طبيعي للبيئة الصحراوية. والجزالة من أهم صفات الألفاظ والعبارات في الشعر الجاهلي، يقول ابن سلام في تفضيل النابغة الذبياني على الشعراء:

"كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثر هم رونق كلام، وأجز لهم بيتاً".(٥٣)

إن أسلافنا فتحوا في كتبهم باب السرقات، غير ملتفتين إلى مايشير إليه عند الجاهليين من دوران أشعارهم على جميع الألسنة بحيث هيأت لهذا التوارد الواسع على الصور والتشبيهات. ولعل ممايدل دلالة قاطعة على أن الشاعر الجاهلي مهما بعدت الشقة بينه وبين شعراء القبائل الأخرى كان يستظهر أشعارهم وأنها كانت تتداول تداولاً واسعاً أننا نجد صوراً وعبارات يتبادلها الشعراء مع تباعد أوطانهم تباعداً شديداً، فإذا قال امرؤالقيس بالقرب من تيماء في غربي الجزيرة بيت معلقته المشهور:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسىً وتجمل

وجدنا البيت يطير مع معلقته طيراناً مسرفاً في البعد، حتى ينزل بأقصى الشرق من الجزيرة في البحرين، فإذا طرفة يكاد ينقله بحذا فيره إلى معلقته قائلاً:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسىً وتجلد (٥٤)

إن عصر ماقبل الإسلام عرف شيئًا من النشاط التمثيلي ضمن حياة اللهووطقوس انشاد الشعر وما يجري في المناسبات الدينيةومظاهر الفروسية والأعياد والأسواق، وعكاظ خاصة، وكان الأحباش يلعبون بالدرق والحراب وهم يتبادلون الحوار، وشاع أن رجلاً محارباً يرتجز أشطراً فيرد عليه غريمة بأشطر أخرى في حوار متبادل، وأن مساجلات شعرية موسمية تشبه الحوار تقوم بين شخصين يلتزمان جانبين مختلفين وقد يشترك فيها ثلاثة أشخاص أو أكثر: "والواقع أن هذه المساجلات التي تدخل في الحوار القصصي كثيراً تكاد تكون أقرب الصور التي عرفها العرب إلى الأعمال المسرحية."

وأكثر المعلقات والقصائد الجاهلية لايخلو من حادثة يقصها الشاعر ولكنها عادة لا تستقطب حدثاً واحداً نامياً بصراع وشخوص وحبكة وحوار، فمعلقة امرئ القيس مثلاً تقوم على حادثة: